

الفصل الخامس عشر

روسيا تتطلع إلى الغرب

قامت صعوبات مع بولونيا وليتوانيا بسبب الاعتراف بلقب القيصر الذي حمله إيفان . فسيجيسموند أوغست غراندوق ليتوانيا وملك بولونيا المنتخب لم يكن متأكدًا من معنى كلمة الإمبراطورية . فهو لم يكن يحب الألقاب الجديدة ولم يكن بإمكان إيفان الرابع بدون شك أن يضع نفسه على قدم المساواة مع إمبراطور الإمبراطورية الرومانية المقدسة أو مع السلطان ! . وكانت بولونيا يومذاك دولة واسعة مزدهرة ولا تعتبر نفسها بطبيعة الحال أدنى مرتبة من موسكويا . وعلى الرغم من أن موسكويا كانت مسيحية فإن ذلك لم يجعلها أقل بربرية . وكانت بولونيا تعتبر نفسها أكثر تمدناً ولذلك فإن سيجيسموند لم يعترف لإيفان بلقب قيصر وأرسل له سفراء يحملون أوراق اعتماد موجهة لبلاط « صاحب الجلالة غراندوق موسكو » لا إلى « جلالة قيصر روسيا » وفي مقابل ذلك أرسل إيفان رسائل إلى غراندوق ليتوانيا متغافلاً عن تسميته ملكاً لبولونيا .

وفي عام ١٥٥٣ عندما وصل سفراء سيجيسموند إلى موسكو ردت إليهم أوراق اعتمادهم ولم يدعهم القيصر إلى العشاء رغم أنهم أوضحوا أنهم أتوا لعقد معاهدة « سلام خالد » ، ولكن سكرتير القيصر رد عليهم : « إن هذا ممكن ولكنكم لم تبدؤوا بحصافة وذوق » . وأجاب السفراء : « ينبغي عليكم أن تردوا كل الأراضي التي ضمتموها إليكم في الماضي والتي كانت تخص دوقية ليتوانيا وعندما يتم ذلك نعقد معكم معاهدة